



كتبت قبل أيام مقالة بعنوان: (نحن السوريون.. لماذا يخذلنا العالم؟؛ وأشار علي أحد الإخوة أن أسميهما: (كرامة الله للسوريين)، وقد كان موفقاً في مشورته.

وأستعير منها أسطراً بسيطة متعلقة بمقالي هذا: "ألا يكفيكم أن يكون مولاكم هو الله وحده.. ألا يكفيكم أن يكون حباكم موصولاً بالله وحده.. ألا يكفيكم أن يكون حسيبكم وكافيكم وحده..

اقرئوا قول الله - تعالى - : {ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض، ونجعلهم أئمة، ونجعلهم الورثين * ونمكّن لهم في الأرض، ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحدرون}.

لست محللاً سياسياً.. لكنني ناصح أمين لقومي الذين أخذت العهد على نفسي أن أعيش معهم لحظة بلحظة منذ اندلعت شرارة ثورتهم المباركة حتى يرفع الله عنهم هذه العصابة المجرمة وينصرهم على عدوهم..

لقد مضى على الثورة السورية أكثر من خمسة أشهر، وهي تواجه أعنى أجهزة البطش الوحشية التي لا يكاد يعرف لها التاريخ مثيلاً، ومع ذلك تميزت هذه الثورة بمحافظتها على سلميتها رغم كل المحاولات الفاشلة لاستدراجها لحرب مسلحة أو حروب أهلية طائفية تعصف بالبلاد وتفتك بالعباد. وقد ضربت الثورة السورية أروع المثل في التوكل على الله والاعتماد عليه وصدق اللجوء إليه في ظل الصمت العربي والتواطؤ العالمي. وأراد السوريون أن يعبروا للعالم عن هذا الإيمان والتوكّل، فأسموا جمعتهم الفائتة: (الله معنا)..

وكان من بركة ذلك بعد فضل الله - تعالى - وتأييده أن بدأت بعض التحرّكات على المستوى العربي والعالمي تناادي بإيقاف المجازر عن هذا الشعب الأعزل، وتدين هذا العدوان الهمجي الوحشي، على تباهٍ لهجاتها ومصالحها ونواياها.

وقد دعاني لكتابه هذا المقال ما عايشته خلال الأيام الفائتة من ردود أفعال وتعليقات حول المواقف الإيجابية التي طالما انتظر السوريون شيئاً منها، كذلك ردود الأفعال وكثرة التعليقات بالأمس واليوم حول مواقف الحكومة التركية الغامضة والمتنزّلة في ظاهرها..

أيها السوريون:

لقد قامت ثورتكم هذه بتذير الله - عز وجل - وحكمته، لم يكن لأحد فيها فضل ولا منة، ودفعتم ولا زلتم الثمن الباهظ للخلاص من الاستعمار الأسودي، والاستبداد الأمني، والتدخل الصفوبي، ولم تتزعزع ثقتكم بالله - عز وجل -، ولم ترکنوا إلى غيره، وكان من كرامة الله - عز وجل - لكم في ذلك أن قوي إيمانكم به وصدق لجوئكم إليه واعتمادكم عليه. وکنتم تطالبون العالم الصامت أن يتدخل ولو بالشجب والإدانة، ولم يكن لديكم أية آمال معقودة على غير الله - تعالى -، أَبَيَّدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْكُم ببعض المواقف التي تنتصر لكم.. يتزعزع توكيلكم عليه وترکنون إلى غيره؟! أعيذكم بالله من ذلك.

أيها السوريون:

إن من فضل الله عليكم ومنته أن يهبي لكم من الأسباب ما يكون فيه دفع البغي والظلم عنكم، ويُسخر لكم من خلقه من يساهم في دق مسمار في نعش النظام الفاسد البائد. **وهذا يوجب عليكم النظر إلى هذه المواقف والأسباب من عدة جوانب:** - أنكم بدأتم ثورتكم بعون الله وحده ولم يكن لأحد عليكم فيها منة، ومضيتم فيها خمسة أشهر وليس لأحد عليكم فيها منة، إلا ما كان من موقف تركيا في استضافتها للنازحين، وبعض المواقف العربية غير المعلنة.

- أن من بدأ يتحرك الآن من دول الغرب ويصرح ويلوح بالعصا لبشار وحزبه، لم يكن ليتحرك رأفة بكم ولا حبا لكم، إنما هم عباد مصالحهم وأهواهم، ولا أخالهم بدؤوا بالتحرك إلا لرؤيتهم لثباتكم وتصميمكم على مطلبكم الشرعي؛ (إسقاط النظام المجرم)، وإن فقد كانوا يؤمنون إخمام ثورتكم وخواركم وترجعكم، ولكنه أُسقط في أيديهم وبارت حيلهم، فإياكم أن تتراءعوا.

- أن من بدأ يتحرك ويصرح من الدول الإسلامية، فإنهم موكلون إلى نياتهم، ولا نشك في أن فيهم من يحركهم وازع ديني وحسُّ بواجب النصرة -رغم تأخر مواقفهم، ولأنَّ يتأخروا خير من أن يبقوا صامتين-، وإننا نرجو لهم الأجر والمثوبة التي جاءت في الحديث: ((ما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمةٍ إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته)).

- أنَّ من واجبنا عشر السوريين أن نبارك ونشكر كل مبادرة وخطوة إيجابية تؤازر وتناصر هذا الشعب الذي يتعرض لإبادة جماعية دون تفريق بين طفل أو شاب أو شيخ أو امرأة، وإنَّ (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)، وأن نعرف لأصحاب المعروف فضلهم، أفراداً وشعوبًا وحكومات، وندعو لهم -أعني المسلمين منهم-، ونشيد بمواقفهم، ونشد على أيديهم، ونطلع منهم للمزيد من الخطوات العملية التي تساهم بإيجابية في رفع الظلم عن الشعب السوري، ونسعى لحشد المزيد من الدعم والتأييد العربي والعالمي.

- ألا نعطي بعض المواقف أكبر من حجمها، أو نقف عندها كثيراً ونضيع وقتنا في التحليل والتنظير، فال موقف التركي الغامض لن يوقف ثورتنا ولن يؤثر عليها، إنْ كان سلوكهم إيجابياً فنفعهم لأنفسهم قبل أن يكون لنا - وإن كنا نرجو منهم الصدق في المؤازرة-، وإن كان موقفهم سلبياً فضرره عليهم لا علينا، فنحن ننطلق من منطلق المؤمن المتوكل الواثق بالله - عز وجل -؛ ((وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضرك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف)). ولن تقف ثورتنا عند أوغلوا أو أردوغان أو غيرهما.. بل هي ماضية لا يوقفها إلا أفراد يوم النصر العظيم - إن شاء الله..

- ألا تكون المواقف الإيجابية مخذلة لنا عن الاستمرار في الثورة أو سبباً للتكاسل والتقاعس عن بذل الغالي والنفيس حتى يتحقق النصر ونقتص لدماء الشهداء. فمن أعظم الغبن والخطر أن نتكل عليها وننسى القادر القاهر مدبر الأمور - سبحانه - .

ولنعلم أن جميع هذه المواقف حتى الآن لم تردع النظام المجرم عن غيّه، بل هو يضرب بكل صيحات العالم وتهديداته عرض الحائط، ويمارس أقذر أنواع التلاعيب والضحك على أرباب السياسة، مستعيناً بالرجس النجس إيران ومستنداً إليها

ومتكلاً عليها، وهذا من أعظم أسباب خذلانه وبواره – إن شاء الله –. لذا فإنه يجب علينا المضي قدمًا حتى نحقق مراينا لإسقاطه ومحاكمة المجرمين مستعينين بالله متوكلين عليه.

أيها السوريون:

إن الأخذ بالأسباب هو من مقتضيات التوكل على الله - سبحانه -، لكن الركون إلى الأسباب وتعلق القلب بها خيبة وخذلان، فالتوكل الصحيح لا يكون إلا برفض الأسباب عن القلب لا عن الجوارح، كما قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - .
وعلامة ذلك: ألا يبالي العبد بإقبالها وإدبارها؛ لأن اعتماده على الله، وسكنوته إليه، واستناده إليه، قد حصنّه من خوفها ورجائها، وفي صحيح الترمذى مرفوعاً: ((من تعلق شيئاً وكل إليه))، فمن توكل على الله وتعلق به كفاه؛ {أليس الله بكاف عبده، ويخوّفونك بالذين من دونه}، {ومن يتوكّل على الله فهو حسّبه}، {وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم}، {إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده}.

نعم، إنْ خذلَكُمُ الله - عيَادًا بالله من ذلك. فمن ذا الذي ينصركم من بعده، والله لئن اجتمعَتْ أمَّ الْأَرْضِ عَلَى نَفْعِكُمْ وَنَصْرِكُمْ وَتَخْلِيصِكُمْ مِنْ فَرْعَوْنَكُمْ (لن ينفعوكُمْ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكُمْ)، ولئن وَكَلَمُ اللَّهِ إِلَى غَيْرِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَقَدْ وُكِلَّتْ إِلَيْهِ ضَعْفُ وَعِزْزُ وَضِيَّعَةٍ، ولن تَفْلُحُوا أَوْ تَظَهَرُوا عَلَى عَدُوِّكُمْ أَبْدًا.

قال وهب بن منبه - رحمة الله - : "أوحى الله - تبارك وتعالى - إلى داود: يا داود! أما وعزتي وعظمتي! لا يعتصم بي عبد من عبادي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده السماوات السبع ومن فيهـن، والأرضون السبع ومن فيهـن، إلا جعلـت له من بينـهن مخرجاً. أما وعزتي وعظمتي! لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته، إلا قطـعت أسباب السماء من يده، وأسـخت الأرض من تحت قدمـيه، ثم لا أبالي بأيْ أودـيتها هـلـك".

أيها السوريون:

الحذر الحذر..

أن تغيروا معالم ثورتكم المباركة ومبادئها: لا للصراع المسلح، لا للطائفية، لا لتفكيك سوريا وتجزيئها، لا للتدخل الخارجي العسكري بأى شكل من أشكاله.

الحذر الحذر..

أن يتلاعب بكم أحد وتصدقوا مزاعم الإصلاح.. ولا أظنكم تصدقونها.. فهذا نظام فاسد بائد عصيٌّ على الإصلاح ولا يعرف للصلاح سبيلاً.. سفك الدماء، واستباح المدن، وانتهك الأعراض.. فلا مكان له بعد اليوم بينما ولو بلع ورق المصحف - كما يقول السوريون في أمثالهم العامية.

الحذر الحذر..

أن تركنا إلى الأسباب وتنسوا مسبب الأسباب.. لقد رفعت شعاركم عالياً: (الله معنا)، فلا تخذلوا الله أو تركنا إلى غيره فيكلاكم إلى أنفسكم فتضلوا وتضيع ثورتكم هرداً. أعلنوا مرتين بعد مرّة.. وأسمعوا العالم أجمع: نحن مع الله.. وأمرنا فوضناه إلى الله.. الله مولانا وحده.. الله كافينا وحده.. الله حسيبنا وحده.. الله ناصرنا وحده.. قلوبنا معلقة بالله وحده.. فمن ناصرنا شكرناه لكننا لا نركن إليه.. بل نأوي إلى ركن شديد.

الحذر الحذر..

أن تفتروا عن الدعاء والضراعة إلى الله - عز وجل - .. فهذه أيام وأوقات الإجابة.. واجعلوا أملكم بالله كبيراً أن يهيء لكم في هذا الشهر فرجاً ومخرجاً.. لا تشغلو أنفسكم بما هو ليس في مقدوركم وإنما هو بمقدور البارئ - سبحانه - علام الغيوب.. لا تشغلو أنفسكم بالقيل والقال: كيف سيسقط؟ كيف سنقدر عليه؟ كيف سنظهر عليه ونحن ضعفاء وهو ذو قوة وجبروت؟ خذوا من أسباب النصر ما استطعتم، ودعوا الأمر لله - عز وجل - يديره كيف يشاء.. فقد أهلك النمرود

ببعوضة، وأهلك قوم لوط بجناح جبريل، وأهلك فرعون بالغرق، وأهلك أبرهة بحجارة من سجيل، وأهلك كسرى بولده، {وما
يعلم جنود ربك إلا هو..}.
الحدن الحذر..

أن يتطرق إلى نفوسكم الخور أو الوهن أو اليأس.. فقد أصابكم بلاء عظيم، وجَهَدت الأجساد لكن النفوس كبارا.. وقد قطعتم
شوطاً كبيراً فلا تضيّعوا ثمرة نضالكم ومصابركم.. فعدوكم أفاك أشر.. رجس شرس.. ولازال يصارع لأجل البقاء..
ويستعين بالنجس إيران.. ولا تدرؤن متى يأذن الله بالفرج ويكسرها. فإنما النصر مع الصبر.. والفرج مع الكرب..
وإن مع العسر يسراً..

واعلموا أن أشد حالات الظلم قبل بزوغ الفجر.. فقد تواجهون بطشاً وبأساً أشد مما واجهتموه حتى الآن.. لأن خنزيركم
المذبح يتخطى عند خروج روحه النتنة الخبيثة..

فالمحاكمة المصايرة، والمرابطة المرابطة، والعزيمة العزيمة..

حذار أن تضيّع دماء شهدائكم هدراً.. حذار أن تضيّع دموع أمهاتكم وأراملكم وأطفالكم هدرا.. {إنهم إن يظهروا عليكم
يرجمونكم أو يعذبونكم في ملتهم ولن تفلحوا إبداً}.

{وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مؤمنين * فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم
الظالمين * ونجنا برحمتك من القوم الكافرين}.
والحمد لله رب العالمين,,,

المصادر: